10- عبدالمالك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية، دط. الجزائر: 2007م، ديوان المطبوعات الجامعية.

11- عمر سليمان الأشقر، القضاء والقدر، ط 1. الجزائر: 1410هـ- 1990م، قصر الكتب.

12- قادة بورنان،الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية، ترجمة: عبدالرحمان حاج صالح، ط1. الجزائر: 2013م،ديوان المطبوعات الجامعية.

13- مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم، دط. بيروت، 1334هـ، دار الجيل،ج4.

14- http:// www/educ-wd.com

المفاهيم اللسانية في تعليمية اللغات

أ. سعاد خلوي- جامعة برج بوعريريج

الملخص

تعرف اللسانيات بكونها الدراسة العلمية للغة الإنسانية، وتوصف تعليمية اللغات بكونها ممارسة بيداغوجية غايتها تأهيل المتعلم لاكتساب المهارات اللغوية، ورغم اختلاف أسئلة كل واحد منهما إلا أنه يصعب الفصل بينهما.

نحاول في هذا البحث أن نسلط الضوء على العلاقة بين اللسانيات وتعليمية اللغات خلال تقديم وصف موجز عن أهم الاتجاهات اللسانية الحديثة ،وإسهاماتها في النهوض بتعليم وتعلم اللغات، وكيفية استثمار نتائج النظريات اللسانية في معالجة قضايا تعليم اللغات.

الكلمات المفاتيح: التعليمية، البيداغوجيا، البنيوية، الوظيفية، المقاربة التواصلية، الكفاءة التواصلية.

Abstract

The linguistics is known as the scientific study of human language, whereas didactics is defined as the practice of teaching methods, whose aim is to make the learner acquire language skills. In this work, we try to clarify the relationship between linguistics and didactics by presenting a brief description of the most important trends in modern linguistics and its contribution to the progress of language teaching and learning, and how to exploit the results linguistic theories to contribute in solving some language learning problems.

المفاهيم اللسانية في تعليمية اللغات

لقد أولى الناس اهتماما بالغا منذ قرون باللغة، وبقدرة الإنسان على اكتسابها ، فكل طفل في أي مكان، وفي أي مجتمع له قدرة عجيبة على اكتساب اللغة التي يتحدث بها مجتمعه بكل سهولة ويسر وفي سنوات عمره الأولى كما أن هذا الطفل قادر على اكتساب لغتين أو أكثر في وقت واحد إذا تعرض لها في المراحل الأولى من عمره بشكل طبيعي.

ولقد لفت ذلك اهتمام اللغويين وعلماء التربية المهتمين بالتعليم فبدؤوا يدرسون اكتساب اللغة الأولى كي يتمكنوا من فهم واجبهم في تعليم المهارات اللغوية لأبناء اللغة بعد سن الخامسة،كما استخدمها التطبيقيون كأساس في تعليم اللغات الأجنبية.[1]

إن الوعي بأهمية العملية التعليمية، يقتضي بالضرورة وجود مرتكزات معرفية سابقة تستثمر نتائجها لغاية كبرى هو تأهيل المتعلم لاكتساب المهارات اللغوية

شهد الدرس اللساني تطورا مهما في السنوات الأخيرة، وهو درس علمي للغة، منذ أقر **دوسوسير** أن دراسة اللغة تكون لذاتها ومن أجل ذاتها، وقد استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات و من علوم أخرى ترعرعت في أحضان اللسانيات، كاللسانيات النفسية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التطبيقية التي تشكل تعليمية اللغات محورها الأساس، إذ يختلف الدارسون في تصنيف وتوسيع مجالات اللسانيات التطبيقية ، ولكنهم لا يختلفون في كون تعليم اللغات محورا أساسا ضمن تلك المجالات.

إن الطابع العلمي التجريدي للسانيات ، والطابع العملي الإجرائي لتعليم اللغات ، قد يحيل على استحالة استفادة تعليمية اللغات من اللسانيات ونتائجها لأن طبيعة عمل الباحث اللساني تختلف عن طبيعة عمل المدرس، والقواعد اللسانية العلمية مختلفة عن القواعد التربوية التعليمية، والفرق بينهما يشمل الأهداف،ومنهج البحث والتفكير، وأسلوب تنظيم المادة وعرضها.[2]

والسؤال المطروح هو: كيف يمكن تحويل المعرفة العلمية المجردة إلى معرفة تربوية تعليمية مرنة و قابلة للتعاطي في حقل التربية؟

إن اللسانيات العامة بمختلف فروعها واللسانيات التطبيقية، وكذا اللسانيات الاجتماعية، والنفسية، والتداولية، وغيرها من الفروع يمكن تطبيق نظرياتها في تعليم اللغات وتعلمها على أن لا يتم هذا التطبيق بكيفية آلية ومباشرة، وإنما يتمّ عن طريق تجريد المعارف العلمية من طابعها العلمي الخالص، و إضفاء طابع تعليمي عليها و تطويعها إلى مختلف جوانب العملية التعليمية/ التعلمية. وهذا يدل أن التعليمية تأخذ من اللسانيات ومن مجالات أخرى ولكن هذا الأخذ لا يكون بإسقاط القضايا اللسانية في مجال إعداد المواد التربوية التعليمية وإنما يتخذ أشكالا متشعبة ، ولا يظهر في صيغة وصفات جاهزة.[3]

وفي ظل هذه العلاقات المتشابكة بين اللسانيات وتعليمية اللغات، توالت اتجاهات علمية أثرت في العملية التعليمية/التعلّمية أهمها:

1- **الاتجاه التقليدي** :كانت دراسة اللغة منذ العصور القديمة إلى حد ما مرتبطة بتعليم وتعلم اللغات، لذا جرى في العصر الحاضر على تسمية جميع المحاولات السابقة للقرن التاسع عشر لتدريس اللغات بالطرائق التقليدية، وهي مجموعة من الطرق المستخدمة في تعليم اللغات الأجنبية، امتدت قرونا عدة، وأخذت أشكالا مختلفة أثناء تطورها أهمها طريقة النحو والترجمة. وهي عبارة عن اجتهادات قام بها فقهاء اللغة وواضعو القواعد المعيارية للغات، بمعنى أن هذا الاتجاه لم يعتمد على نظرية لغوية ثابتة وواضحة للتعلم. [4]

يقول روبرت دي بوجراند " :فقد أخذ من عدد من المنابع التي لا يمكن بصفة دائمة أن ينسجم بعضها مع بعض، فالمنطق، والفلسفة، والبلاغة، والأدب، والاتجاهات العامة،

والنظرات الفردية لكل من النحويين، بل للنظم النحوية للغات الأخرى كل ذلك من مصادر الأخذ."[5]

فقد كان تعلم لغة أجنبية في العالم الغربي مرادفا لتعلم اللاتينية أو اليونانية، وذلك من خلال وصف الأنظمة المختلفة التي تتألف منها اللغة، ومن ثم كانوا يتعلمون وفق ما يعرف بالطريقة الكلاسيكية(التقليدية)، ويعرفها دوغلاس براون" بأنها طريقة بلا نظرية وليس فيها ما يمكن أن يصلها بنظريات علم اللغة، وعلم النفس، وعلم التربية. "[6]

لهذه الطريقة مزايا وعيوب، وإن كانت عيوبها تطغى على مزاياها، ورغم هذا لا يحط من قيمتها لأن كثيرا من نتائجها مازالت له قيمة إلى الآن.[7]

ومن عيوب هذا الاتجاه الذي أدى بالدرس اللساني الحديث لا يأخذ بجميع قواعده.[8]

1- اعتماد اللغة اليونانية واللاتينية نموذجا لكل اللغات الإنسانية، وذلك باتخاذ نموذج القواعد التي وضعت في الأصل للغتين اليونانية واللاتينية.

2-اعتماد الوثائق المكتوبة في تعليم اللغات، حيث كان المدرس يعلم اللغة بالاعتماد على النصوص الأدبية والتركيز على القواعد.

3- اعتماد هذه الطريقة على ا لترجمة من لغة هدف إلى لغة مكتوبة أخرى وذلك بتقديم دروس باللغة الأم مع استعمال قليل للغة الهدف، مما جعلها تسمى بطريقة النحو والترجمة، بحيث ينصب اهتمامها أكثر على شكل اللغة عن طريق تطوير مهارتي القراءة والكتابة لدى المتعلم لتلك اللغة.

4- تهدف هذه الطريقة اكتساب المتعلم قدرة نحوية تجعله يتحكم في النظام الشكلي للغة، لذا يقتصر النشاط التعليمي على حفظ القواعد والتطبيق عليها.

5- تعطي موقع الصدارة للمدرس إذ يعدّ الحكم الوحيد في اختيار وتطبيق مواد التدريس، ويقتصر دور المتعلم على مجرد الاستماع والحفظ وتخزين القواعد النحوية.

6- تعلّم المفردات في قوائم من كلمات معزولة، فلم تكن الكلمات تقدم للدارس في جمل مفيدة أو في سياق عام بل في قوائم باللغتين الأجنبية والقومية، وما على الدارس إلا أن يحفظها عن ظهر قلب.

7- قراءة نصوص كلاسيكية صعبة في مرحلة مبكرة جدا.

8- التركيز منصب على تعليم الكتابة والقراءة، وإهمال لغة الحديث الشفوي وبذلك زاد ابتعادها عن الاستخدام الفعلي للغة الحديثة.

2: الاتجاهات الحديثة

شهدت الدراسات اللغوية خلال القرن العشرين، ثلاثة اتجاهات لسانية متعاقبة عدّها الكثيرون ثورات حقيقية.[9]

1-الاتجاه البنيوي : ويستند إلى البنيوية الأوربية التي ظهرت مع المفاهيم التي جاء بها **دو سوسير**، والدراسات اللسانية في أمريكا على يد العالم اللغوي **بلومفيلد**، وبالرغم من ظهور اللسانيات البنيوية في أوربا وأمريكا في آن واحد غير أنهما تطورتا بطريقة مستقلة، لأن اللسانيات الأمريكية اختلفت عن اللسانيات الأوربية من حيث المنهج المتبع والمادة المدروسة، فاللسانيات الأوربية استفادت من الفكر اللغوي العريق الذي ظهر بظهور الدراسات الإغريقية وجاءت نقدا للدراسات التاريخية.

أمّا اللسانيات الأمريكية فانطلقت من الأنثروبولوجيا، والدراسات الميدانية التي اهتمت بتصنيف وتدوين لغات الهنود الحمر، وهذه الدراسة تنبني على اللغة المنطوقة، وتركز على وصف خصوصيات كل لغة على حدة بعيدا عن المنطق والفلسفة.[10]

أ - البنيوية الأوربية : نشأت اللسانيات البنيوية مع العالم السويسري **فردينان دي سوسير**، الذي يعدّ أبا حقيقيا للسانيات الحديثة، فقد نشر له عام 1916 أي بعد وفاته بثلاث سنوات كتابه الموسوم " دروس في اللسانيات العامة " وهو عبارة عن محاضرات كان يلقيها على طلبته بجامعة جنيف جمعها طلابه بعد وفاته.

ما قدمه **سوسير** في محاضراته كان بمثابة ثورة لسانية على المناهج السابقة مثل الدراسات التاريخية والنحو المقارن والنحو المعياري. يقول الباحث **الطيب دبه:** " عاش **سوسير** في الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف الربع الأول من القرن العشرين، وتعد هذه المرحلة من أزهى مراحل الدراسات التاريخية المقارنة، ومن دروسها وعلى يد لغوييها وفلاسفتها تعلم **سوسير** وأخذ مبادئه اللغوية الأولى وتشبع بالكثير من نظرياتها ، بل كان له دور في إثرائها، لكنه وبعدما تمكن من استيعاب توجهاتها لم يرضه ما كانت تنتهي إليه من نتائج، وما كانت تعمل به من مبادئ منهجية رأى أن يقدم منهجا لسانيا بديلا."[11]

استطاع **دوسوسير** أن يحدد موضوع اللسانيات وهو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وذلك بتبنيه منهجا جديدا لدراسة اللغة هو المنهج الوصفي، فقد عدّ بنية اللغة مظهرا محسوسا يمكن ملاحظته، كما أكد على استقلالية منهج الدراسة اللسانية.

دعا **دوسوسير** إلى دراسة اللغة وفق المنهج البنيوي الوصفي الذي يقوم على البحث في سمات النظام اللغوي في فترة زمنية معينة، قصد الكشف عن وظيفة عناصره ،وهذا الوصف يكون من داخل اللغة، وبالاعتماد على المعايير اللغوية الموضوعية سعيا وراء التوصل إلى وصف دقيق وعلمي شامل لتركيب أو بنية اللغة الأساسية، فأصبح وصف لغة ما ينبع من نفسها ولا يعتمد على قواعد لغة سابقة كما في القواعد التقليدية.

ومن جملة المميزات التي أقرّها **دوسوسير** ما يلي:

– تأكيده على أهمية اللغة المنطوقة أو لغة الحديث على اعتبارها المظهر الأول والأساس في اللغة.

– أن اللغة ظاهرة اجتماعية، كما أنها نظام من العلامات، فاللسانيات تنظر إلى اللغة نظرة كلية باعتبار اللغة نظاما ترتبط فيه الأجزاء ارتباطا تحدد به قيمة كل عنصر من خلال علاقته بالعناصر الأخرى من المجموعة التي ينتمي إليها.

– بين **دوسوسير** أن اللغة مستو دع من العلامات، والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد المجتمع وهذه العلامة في نظره لا تربط بين اللفظ ومسماه كما كان يعتقد منذ العصور الغابرة، بل يربط بين المفهوم والصورة السمعية، فالعلامة في حقيقتها كيان نفسي مكون من الدال– وهو الصورة السمعية -والمدلول أي المفهوم الذي يبنيه الإنسان من تصوره للشيء.[12]

– تتّصف العلامة اللغوية بالاعتباطية، أي أن العلاقة التي تربط الدال بالمدلول علاقة وضعية، اصطلاحية غير طبيعية، غير حتمية.

– يمنح الصوت المنطوق للعلامة صفة ا لخطية لكونه ذا طبيعة سمعية، ولأن الصوت هو الركيزة المادية للعلامة، وله بعد واحد هو بعد خط الزمن، فهو يمتد في الزمن ويتمثل ذلك في تعاقب الأصوات ضمن السلسلة الكلامية.[13]

– تحدث عن قيمة العلامة اللغوية، فهي لا تتحدد إلا ضمن النظام الذي تنتمي إليه بمعنى أن العلامة تنتمي إلى نظام، نظام اللغة المعنية، ولا تكتسب قيمتها إلا عند تقابلها مع علامات أخرى تنتمي إلى نفس النظام.[14]

إن المفاهيم التي جاء بها **دوسوسير** والتي انطلق منها اللسانيون من بعده ،كانت لها أثر بالغ في تطور الدرس اللساني المعاصر فقد تشكلت معظم المدارس اللسانية، كما ظهرت علوم جديدة كالسيميولوجيا، وعلم الدلالة، والفونولوجيا الوظيفية... كما كان لها أثر كبير على تعليم اللغات وتعلمها في مجالات عديدة.

ب -البنيوية الأمريكية(السلوكية):

لم تعتمد المبادئ الكبرى للسانيات البنيوية التي جاء بها **دوسوسير** في تعليم اللغات بسبب هيمنة الطريقة التقليدية إلى غاية الحرب العالمية الثانية، ومع ظهور علماء اللغة في أمريكا كان أهمهم وأبعدهم أثرا **سابير** ثم **بلومفيد** الذي يعتبر أب المدرسة البنيوية الحديثة، ثم **سكينر** الذي جمع بين علم اللغة وعلم النفس ،وساهم مساهمة رئيسة في تطبيق النظرية على العملية التعليمية.[15]

فقد تميز النصف الأول من القرن العشرين بما يسمى المنهج البنيوي الوصفي، وكان لكتاب **بلومفيلد**" اللغة" أكبر الأثر للترويج لهذا الاتجاه في أمريكا، حيث احتل **بلومفيلد** منزلة مرموقة في اللسانيات الأمريكية بفضل كتابه الذي قدم فيه مفاهيم وتصورات لسانية جديدة ساهمت في تأسيس المذهب البنيوي الأمريكي.

انطلق **بلومفيلد** في تفكيره اللساني من تطبيقه الصارم للمنهج التجريبي الذي ينطلق من المادة اللغوية، فهو لا يهتم إلا بمظهرها الخارجي الخاضع للملاحظة والتجريب، كما تأثر بمبادئ علم النفس السلوكي، ومؤسس هذا العلم **واطسن** الأمريكي الذي نصّ على أن اللغة مجموعة عادات صوتية، يكيّفها حافز البيئة.[16]

من هنا أخذ **بلومفيلد** ينظر إلى اللغة على أنها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى، وبناءً على ذلك فإن من الممكن دراسة تركيبها من ناحية، وتعليمها من ناحية أخر ى.

كما رفض الدراسات البنيوية القائمة على أسس علم النفس التقليدي لانبنائها على المنهج الاستنتاجي الذي يعتمد على الحدس والتخمين،[17] وركز على الجانب الممكن

ملاحظته من اللغة، وهو الصوت أي الكلام المنطوق، وأهمل دراسة المعنى على اعتبار أنه ليس مظهرا خارجيا يمكن ملاحظته.

إن **بلومفيلد** اتخذ من المدرسة السلوكية في علم النفس أساسا يرتكز عليه لأن أصحاب هذه المدرسة يعتبرون أن عملية اكتساب اللغة تندرج ضمن إطار نظرية التعلم التي تقول أن تعلم اللغة في الأساس عملية آلية(ميكانيكية) تختص بتكوين العادات المتمثلة في تعلم جمل جاهزة تدعم بواسطة مبدأ التكرار القائم على المثير والاستجابة.

لقد كان حظ تطبيق هذه النظرية على عملية تعليم اللغات حظا وافرا بسبب ظروف معينة أهمها ظروف الحاجة لتعلم للغات الأجنبية خلال الحرب العالمية الثانية، فقد ظهرت مجموعة من طرائق تعليم اللغة أهمها الطريقة السمعية البصرية التي انتشرت في معظم أنحاء العالم بما في ذلك العالم العربي.

واستفادت هذه الطرائق البيداغوجية من هذه التصور السلوكي من خلال:

- الاهتمام بالجانب المنطوق للغة عند تدريسها.
- التركيز على اللغة الحية لغة الحديث التي يستعملها الناس فعلا.
- تبني عملية تعليم اللغة على منهجية تكوين العادات الكلامية انطلاقا من المثير والاستجابة،كما تتم تقوية هذه العادات بواسطة تعزيزها وتدعيمها بصورة متواصلة، فالتلميذ يتعلم اللغة من خلال تكرار الجمل، و ينمو سلوكه اللغوي من خلال تقليد البنى اللغوية وممارستها عبر ما يسمى بالتمرين البنيوي.
- إن الوحدة الأساسية في اللغة هي الجملة.

لقد أثرت المدرسة السلوكية في طرائق تعليم اللغة وتعلمها تأثيرا كبيرا ليس لأن منهجها والنظريات التي طلعت بها بدت ثورية على الطرائق التقليدية، بل لأن علماء اللغة السلوكيين أنفسهم كانوا يقومون بتطبيق تلك النظريات في الميدان التربوي يقول الباحث نايف خرما " للمرة الأولى في تاريخ الدراسات اللغوية، ينصب علماء اللغة من أنفسهم حكاما في أمور تطبيقية تربوية تعليم اللغات الأجنبية، فهم لم يكتفوا بوصف اللغات من الناحية النظرية .. بل تدخلوا تدخلا مباشرا في تجهيز المواد التعليمية وتأليف الكتب الدراسية، وفرض الطريقة التي يجب أن تدرس بها تلك اللغات.[18]

2- الاتجاه التوليدي التحويلي

ارتبط هذا الاتجاه بالعالم اللغوي الأمريكي **نوام تشومسكي** الذي تتلمذ على يد **هاريس** والذي يعد بدوره قطبا من أقطاب المدرسة الوصفية، فـ**تشومسكي** أحد أتباع هذه المدرسة تمرس في منهجها حتى أتقنه إتقانا تاما لكنه خالف المنهج الوصفي، حين أصدر كتابه الشهير "البنى التركيبية "معلنا بذلك عن منهج جديد لدراسة اللغة أطلق عليه اسم" القواعد التوليدية التحويلية"، ورغم أن هذه النظرية نشأت نقدا للمدرسة السلوكية، فقد استفادت من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي، والنحو الوصفي، فأخذت نقاط القوة منها وانتقدت نقاط ضعفها.[19]

حاول **تشومسكي** أن يحي بعض المفاهيم التقليدية التي نادت بها المدرسة اللغوية بورويال *وبما أنه ينتمي إلى العقلانيين مثل **أفلاطون وديكارت** الذين يعتقدون أن العقل في ذاته مصدر كل معرفة ، جاءت آراؤه عن طبيعة اللغة عميقة للغاية ومناقضة تماما للسطحية التي تميزت بها آراء المدرسة السلوكية.[20]

من أهم ما قام به **تشومسكي** في حياته العلمية، انتقاده للمدرسة السلوكية، وذلك برفضه لمبادئها رفضا قاطعا،لأنها لا تفرق بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان.

كما يرى أن الطفل يولد وهو مزود بمعرفة فطرية مجسدة فيما أسماه بجهاز اكتساب اللغة، وبهذا ينقد قول الوصفيين بأن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء[21] ، ويكتسب اللغة عن طريق المثير والاستجابة والتكرار، والتقليد والقياس، ويرى أن هذا الموقف يحط من قيمة الإنسان ويحد من قدراته الخلاقة.

ويمكن تلخيص الأسس التي قام عليها الفكر اللغوي التشومسكي فيما يلي:

– **الكفاية اللغوية والأداء الكلامي** :ميز **تشومسكي** بين الكفاية اللغوية التي تعني بأنها معرفة متكلم اللغة بقواعد لغته بصورة ضمنية، وبين الأداء الكلامي الذي يقصد به الطريقة التي يستعملها ويوظفها المتكلم من خلال كفايته اللغوية ، فالكفاية اللغوية هي القدرة على إنتاج الجمل ولن يستطيع الإنسان أن يستغني عنها، فهي انطباعية منذ طفولته.[22]

– **اعتبر الجملة أهم وحدة لغوية** : ومنها انطلق إلى المعاني من جهة وإلى الأصوات من جهة أخرى، فقد عرف تشومسكي اللغة بأنها مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر.

– **المقدرة الفطرية عند الإنسان ومراحل اكتساب اللغة عند الطفل:**يرى **تشومسكي** أن الطفل يمتلك قدرات فطرية تساعده على تقبل المعلومات وعلى تكوين بنى اللغة، مما يدل أنه مهيأ بطريقة أو بأخرى لأن يكوّن قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه، وأن يمتلك القواعد التي تكمن ضمن المعطيات والظروف التي يتعرض لها. من هنا فهو يبني لغته شيئا فشيئا بالتوافق مع قدراته الفطرية التي تساعده في عملية الاكتساب، بمعنى أن الطفل لا تنمو مهاراته اللغوية بالتقليد عن طريق التكرار بل يركز على طبيعة النمو العقلي الذي يقوده إلى اكتشاف قواعد لغته" فالطفل يمتلك تنظيما ثقافيا يسمى الحالة الأساسية للعقل."[23]

– **البنية العميقة والبنية السطحية:** يرى **تشومسكي** أن اللغة تقوم على مستويين: البنية العميقة و البنية السطحية، ويؤكد **تشومسكي** أن البنية العميقة وإن لم تكن ظاهرة في الكلام، فهي إلى حد كبير أساسية، وهي ضمنية تتمثل في ذهن المتكلم –المستمع ،كما أنها حقيقة عقلية يجسدها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكوّن البنية السطحية، من هنا ترتبط البنية العميقة بالدلالات اللغوية، أي أنها تحدد التفسير الدلالي للجمل، في حين ترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابعة في الكلام.[24]

إن حظ تطبيق هذه النظرية في مجال تعليم اللغة لم يكن كبيرا نظرا لتعقيد مفاهيمها المتنوعة، فقد كان تشومسكي أول المشككين في مدى استخدام القواعد التي توصل إليها في مجال تعليم اللغة، لكن العديد من الباحثين يعدّون هذا التصريح انتقادا شديدا ولاذعا لعلماء اللغة بسبب قصورهم عن تحقيق نتائج يمكن أن تسهم في حل المشاكل الفعلية، والصعوبات العملية في حقل تعليم اللغات ، فالنتائج التي توصل إليها تشومسكي عمّت أصداؤها الآفاق، وكان الهدف منها " التوصل بشكل علمي ومنطقي ورياضي إلى القواعد اللغوية التي تكون الأساس القادر على توليد جميع الجمل الصحيحة في اللغة."[25]

ورغم تشكيك تشومسكي بتطبيق القواعد التي توصل إليها، إلا أن ما توصل إليه أسهم بشكل كبير في تعليم اللغات.

وأهم الإسهامات التي قدمتها هاته المدرسة لتعليم اللغة ما يلي:[26]

– لفتت الأنظار إلى مدى تعقيد اللغة من ناحية، ومدى انتظامها من ناحية أخرى.

– نبهت إلى ضرورة التركيز على مساهمة الطفل الإيجابية عند تعلمه اللغة.

– كشفت النقاب عن جوانب الضعف والقصور في الطريقة البنيوية.

– التركيز على دور المعنى والدلالة، ودور الفهم والاحتفاظ بما يمكن تعلمه.

– اعتماد مبدأ التسامح اتجاه أخطاء المتعلمين، بحيث يستفيد المتعلم من الأخطاء التي يرتكبها للوصول إلى الصيغ السليمة.

3– الاتجاه الوظيفي

تأسست اللسانيات الوظيفية انطلاقا من نتائج العديد من الاتجاهات اللسانية التي اهتمت بالجانب الأثنولوجي والسوسيولوجي والتداولي للغة.[27]

ويعد كل من **فيرث** و**ديل هايمز** من أهم أعلام هذه المدرسة، الذين ركزوا على الاستعمال الفعلي للغة، والوظائف التواصلية المختلفة لها في إطار المجتمع. فقد تصدى **ديل هايمز** للنحو التوليدي التحويلي الذي يعزل اللغة عن شروط استعمالها، وبالرغم من ذلك فإن هذا الاتجاه لم ينتقص من قدر ما قامت به المدارس اللغوية السابقة من محاولة استنباط القواعد التي تحكم الجمل، فقد كان أصحاب الاتجاه الوظيفي يعتقدون أن المدرسة البلومفيلدية، والمدرسة التشومسكية اهتمتا بالتركيب الداخلي للغة أكثر مما ينبغي، وأنهما في الوقت نفسه أهملتا جانب الاستعمال للغة في إطار المجتمع، وما يمكن أن يفرضه ذلك المجتمع من ضوابط وقيود على مستعملي اللغة.[28]

يجمع الوظيفيون أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، ويربطون بين النظام اللغوي، وكيفية استعمال هذا النظام في المجتمع، فهم يركزون على أهمية السياق في استخدام اللغة، وأن اللغة لا تستخدم في فراغ، وأن هناك أمرين مهمين يحكمان استخدام اللغة:

– السياق اللغوي والذي من خلاله تستمد المفردات معانيها.

– المقام وعناصره المختلفة مثل المتكلم، وعلاقته بالمستمع، وموضوع الكلام ومكانه، وزمانه وكيفية قوله، والداعي إليه.

فقد عدّ أصحاب هذا الاتجاه اللغة نظاما مفتوحا يهتم بسياق الاستعمال وأدوار المتكلم والمستمع، فهو يركز على جانب الدلالة والاستخدام اللغوي، والعوامل المقاصدية التي تؤثر في استخدام اللغة.[29]

لقد تأثر هذا الاتجاه بعلم النفس المعرفي الذي يرى أن اللغة أداة لنقل الأفكار والمفاهيم، كما تأثر باللسانيات الاجتماعية التي ترى أن اكتساب اللغة وتعلمها يشمل اكتساب وتعلم المهارات الاجتماعية التي تسمع للأفراد من التواصل بفاعلية.

إن أصحاب هذا الاتجاه يركزون على وظائف اللغة حيث يعطونها أهمية أكثر من شكل اللغة ذلك أن الهدف الأول من تعليم اللغة وتعلمها لم يعد يعني أبدا " إتقان تراكيبها الشكلية ، وإنّما إتقانها بتحقيق وظائفها الاتصالية"[30]، ويرون أن للغة وظائف متعددة لخصها **جاكبسون** في ست وظائف:

- الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية.
- الوظيفة الندائية.
- وظيفة إقامة الاتصال.
- وظيفة ما وراء اللغة.
- الوظيفة المرجعية.
- الوظيفة الشعرية.

وقد تم انتقاد هذا النموذج الاتصالي وإعادة بنائه بعد إدخال إصلاحات وتعديلات عليه[31]، عندما تصدى **ديل هايمز** للنحو التوليدي التحويلي الذي يعزل اللغة عن شروط استعمالها، ورأى أن تعريف **تشومسكي** للكفاية اللغوية تعريف ضيق لا يتناسب مع الطبيعة الاجتماعية للغة، واقترح استبدال الكفاية اللغوية بالكفاية التواصلية التي تشتمل على الكفاية اللغوية، ولكنها تتعداها إلى استخدام اللغة في المجتمع والقواعد الاجتماعية التي تحكم ذلك الاستخدام.

لذا قام العالم اللغوي البريطاني **هاليداي** بتصنيف الوظائف التي تستخدم من أجلها اللغة في سبع وظائف كلها تبرز البعد التواصلي للغة.[32]

- الوظيفة التنظيمية: تعمل هذه الوظيفة على تنظيم الأحداث، وتنظيم اللقاءات بين الأفراد.
- الوظيفة النفعية: التي يعبر المتكلم من خلالها عن رغباته الذاتية، وعن حاجاته فهذه الوظيفة تعمل على التعامل مع البيئة لإحداث وضع معين، كالأوامر، وعبارات الرجاء، وأحكام المحاكم، وعبارات الزواج والطلاق وما شابه ذلك.

- الوظيفة التفاعلية: التي تضمن المحافظة على العلاقات الاجتماعية العادية بين أفراد المجتمع.
- الوظيفة الإخبارية: تستخدم اللغة في الإخبار عن حقائق أو أحداث، أو في شرح أمر معين، أو تقديم تقرير، وما إلى ذلك

-الوظيفة التخييلية: حين تستخدم اللغة في التعبير عن أمور خيالية،أي كل ما يخص الإبداع، كالقصص والحكايات والشعر، وكل كلام يقصد به التسلية.

- الوظيفة الشخصية: التي تعبر عن التفاعلات الشخصية، من سعادة، وحزن، وغضب، وحب، وكره، وغير ذلك من المشاعر التي تختلج النفس.
- الوظيفة الاستكشافية: وتظهر هذه الوظيفة في ميل الإنسان إلى حب الاطلاع، واكتشاف كل ما يحيط به في هذا الكون

أمّا في مجال اكتساب اللغة وتعلمها، فأنصار هذا الاتجاه يعارضون النظر إلى اللغة على أنها ظاهرة مجردة من سياقها الاجتماعي والثقافي وذلك للاعتبارات الآتية: [33]

- أن عملية الاكتساب اللغوي لا تتم إلا في سياق اجتماعي وثقافي.
- أن عملية الاكتساب اللغوي تعدّ من أهم ملامح التنشئة الاجتماعية والثقافية.
- ضرورة تعلم اللغة وتعليمها في إطار السياق الاجتماعي والثقافي للغة.
- التواصل اللغوي يتم من خلال نصوص وحوارات بين أفراد المجتمع ومن خلال مواقف اجتماعية.
- تعلم اللغة لا يتم بمعرفة بنية الجمل، بل إنه استعمال لها لأداء نوايا تواصلية.
- إن الوحدات الأساسية في اللغة هي الأفعال الكلامية وليس الجملة.

يقول الباحث نايف خرما ":إن أنصار هذا الاتجاه متفقون على أن الجملة ليست الوحدة اللغوية التي يجب التركيز عليها كما كان الحال في المدارس اللغوية السابقة، اتخذوا من الخطاب سواء كان شفويا أو كتابيا وحدة لدراستهم."[34]

أفادت هذه الدراسات مجال التعليم بنظرتها الجديدة إلى المادة التعليمية بعدّها حقيقة اجتماعية لا يمكن عزلها عن الناطقين والمستمعين، والمواقف الكلامية والقواعد الاجتماعية المتعارف عليها في المجتمع، وهذا ما يستلزم تعليم اللغات وتعلمها، هو الانطلاق من ثقافة المجتمع.

إن التحول الأساس الذي حدث في الدراسات اللسانية لم يكن تلقائيا وإنما جاء نتيجة التطور الذي عرفته النظريات اللسانية، ونظريات التعلم، وعلم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي، والتداولية، وأثنوغرافيا التواصل، وتحليل الخطاب

فقد استطاعت الدراسات الوظيفية أن تربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية، البنيوي والدلالي والتداولي.

لأجل هذا تحددت مقاربة تصلح لأن تطبق في حقل تعليمية اللغات، وهي المقاربة التواصلية،وهي طريقة تعليمية تؤكد على أن الهدف من تعليم اللغة وتعلمها هو تطوير الكفاءة التواصلية، ولا يقتصر مفهوم الكفاءة التواصلية على معرفة النسق اللغوي وإنّما يتجاوز ذلك إلى معرفة قواعد استعمال اللغة في السياق الاجتماعي والثقافي، إذ تتكوّن بدورها من عدة كفاءات أخرى حيث تعكس هذه الكفاءة التمكن من النظام اللغوي ، كما تعكس أيضا إمكانية تكييف هذا النظام مع مختلف الوضعيات والمواقف التواصلية، ولعل هذا ما جعلها تطبق منذ عقود وإلى الوقت الحاضر في الحقل التربوي في كثير من الدول الغربية بما في ذلك الدول العربية.

ونصل في النهاية إلى حقيقة مفادها، أن اللسانيات بجميع اتجاهاتها قد أدت – بفضل التقدم الذي أحرزته- إلى خلق فضاء علمي تتفاعل داخله المجالات المعرفية ، وتستثمر في كل قطاع يسمح بذلك، من هده القطاعات، قطاع التربية والتعليم،حيث وفرت إمكانات كبيرة للإسهام في النهوض العلمي بتعليم وتعلّم اللغات.

الهوامش

1- دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص57

2- ميلود أحبدو، سبل تطوير المناهج التعليمية، ص246

3- ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص9

4- دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص101

5- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص560

6- دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص102

7- نايف خرما اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، ص21

8- دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص101

9- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص83

مجلة الآداب واللغات ـــ
10- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص170
11- الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية (دراسة تحليلية إبستمولوجية)، ص55
12- دو سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص88
13- المرجع نفسه، ص92
14- المرجع نفسه، ص92
15- نايف خرما اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، ص27
16- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص67-68
17- الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص145
18- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص91
19- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص202-203
* مدرسة أروبية ظهرت بفرنسا خلال القرن السابع عشر، تقوم دراستها للغة على القواعد العقلية، وسميت ببورريال لأن مؤسسيها Clancelat وArnand كانا يقطنان ببورريال بالغرب من باريس.
20- المرجع نفسه، ص203
21- دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص36
22- ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص154-155
23- ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية ، ص94
24- ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص111-112
25- نايف خرما اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، ص35
26- المرجع نفسه، ص39-40
27- علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا (نموذج النحو الوظيفي)، ص38-39
28- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص98
29- ميشال ماكارتي، قضايا في علم اللغة التطبيقي، ص238
30- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص66-67
31- علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا (نموذج النحو الوظيفي)، ص40
32- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص73-74-75
33- ميشال ماكارتي، قضايا في علم اللغة التطبيقي، ص232
34- نايف خرما، اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، ص41

مجلة الآداب واللغات ـــ
المصادر والمراجع

1- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2000

2- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002

3- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، 1955

4- دوغلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت،1994

5- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2006

6- سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986

7- الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، (دراسة تحليلية ابستمولوجية)، دار القصبة للنشر ،2001

8- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر ،2007

9- علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا (نموذج النحو الوظيفي)، دار الثقافة، الدار البيضاء،1998

10- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1993

11- ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،1993

12- ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993

13- ميشال ماكارتي، قضايا في علم اللغة التطبيقي، ترجمة عبد الجواد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005

14- ميلود أحبدو، سبل تطوير المناهج التعليمية- نموذج تدريس الإنشاء- دار الأمان، ط1، 1993

15- نايف خرما اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1980

16- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1990